عنوان المحاضرة السابعة :

السرد الفلسفي

عنوان المحاضرة السابعة : السرد الفلسفي

أولًا–نشأة القصة الفلسفية :

مماهو معلوم أن القصة الفلسفية هي فن جديد ظهر نتيجة لترجمة القصص الفلسفية اليونانية إلى اللغة العربية .

1–مفهوم القصة الفلسفية:

تعد القصة الفلسفية من أنواع القصص ، ونقصد بالقصص الفلسفي العربي «تلك الأفكار الفلسفية ، التي تم طرحها بشكل متنوع الأشكال ،وزخر تراثنا العربي بهذا النوع من القصص».

تتناول القصة الفلسفية مضمون الأفكار الفلسفية ، ويقوم الأديب بطرح رؤيته الفلسفية أثناء سرد أحداث قصصه .

2–تطور القصة الفلسفية :

زخر تراثنا العربي بفنون سردية كثيرة ،وقصص المتنوعة ،فمنها الاجتماعي والديني والتاريخي،وظهر نوع من القصص الفلسفية«وكانت ولادة القصة الفلسفية منذ القرن الثالث الهجري حين ترجم"حنين بن إسحاق"(ت260هـ)قصة سلامان وأبسال عن اليونانية... ثم ألف ابن سينا قصتيه الفلسفيتين"حي بن يقظان"و"سلامان وأبسال" ليؤسس بذلك نهج طرح الأفكار الفلسفية عن طريق القصص ».

ظهر نوع القصة الفلسفية في السرد العربي القديم كنوع جديد في بداية القرن الثالث الهجري بتأثير من القصص اليوناني، ومن القصص الفلسفية نذكر رسالة "حي بن يقظان" لابن طفيل، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي» .

نلاحظ أن الكتاب العرب تأثروا بنمط القصص الفلسفي اليوناني، واستلهموا منه مادتهم وأسلوبهم ،ومن أبرزهم ابن طفيل في قصته "حي بن يقظان" لابن طفيل ، والتوحيدي في الإمتاع والمؤانسة .

ثانيًا– نماذج من القصة الفلسفية :

ومن النماذج السردية ذات النزوع الفلسفي نعرض مايلي:

1–قصة"حي بن يقظان" لابن طفيل" :

إن قصة"حي بن يقظان" لابن طفيل هي من القصص الفلسفي العربي الأصيل « وصرح فيها كاتبها بأنه ينقل قصة فيه العبرة .. تمثل هذه القصة رؤية ذاتية لمسيرة الإنسان الحضارية ،وتكمن الأهمية السردية لهذه القصة في دلائل الأسلوب القصصي الموجود فيها ».

طرح ابن طفيل من خلال قصته حي بن يقظان رؤيته االفلسفية للحياة الإنساني«و لقد أكدت الدراسات الأكاديمية على أن قصة"حي بن يقظان هي سيرة ذاتية لابن طفيل،وتقع في سبعة أقسام،ويسمى كل قسم أسبوعًا ،وجعل الأسبوع سبع سنين وتلخص القصة حياة البطل في الجزيرة المجهولة وتنتهي قصته بالكشف والمشاهدة وتكمن الأهمية السردية لهذه القصة في دلائل الأسلوب القصصي الموجود فيها بدءًا من السائل ،ومرورًا بالأسلوب القصصي ،الذي يشكل الطريقة الأمثل لجذب الانتباه».

أضفى ابن طفيل الجو القصصي المشوق أثناء سرده لقصة حي بن يقظان« وصاغ الحكمة في قالب سردي شيق ورسم شخصياته الروائية بطريقة رمزية جعلت من البطل نموذجًا ، ودعا إلى الاعتماد على العقل كبديل للمعرفة،وتطرح قصة حي بن يقظان عند ابن طفيل تساؤلات ، ووضع قسم من الفلسفة الحياة بأسلوب سردي شيق».

عنوان المحاضرة السابعة : السرد الفلسفي

وفق ابن طفيل في سرده لحكاية حي بن يقظان ،ومع غلبت الطابع الفلسفي على سرده،وبالمقارنة بينه وبين ابن سينا«نجد اختلاف في سرد قصة حي بن يقظان عند ابن سينا وابن طفيل،فحي بن يقظان عند ابن سينا شخص معروف يعيش في القدس،وأما حي بن يقظان عند ابن طفيل،فهو غريب لا أصل له يعيش في جزيرة مجهولة».نلاحظ أن شخصية البطل حي بن يقظان عند ابن طفيل هو فيلسوف باحث عن الحكمة ،وأما حي بن يقظان عند ابن سينا هو شخص عادي ،وهنا اتضح عمق الرؤية الفلسفة عند ابن طفيل.

2-السرد في والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي :

يعد هذا الكتاب أهم مصدر عالج فيه التوحيدي الكثير من الموضوعات من أخبار أدبية وفلسفية ومنطقية وسياسية ،وتعرض فيه لتحليل ومناقشة قضايا مختلفة .

وهنا نشير إلى الأحاديث كمصطلح ، وإلى الليالي كجنس، وطرب من الخرافة (أدب المجالس) وهذا الجنس يختلط بالخيال ، ويشير إلى الإمتاع .

أ-العقد السردي:

إن العقد السردي هو عبارة عن ميثاق بين طرفين وتجسد في«علاقة التوحيدي بالوزير هي العلاقة بين السامع والمتكلم،وعلاقة السائل بالمجيب،فمنذ الليلة الأولى يقوم ابن سعدان (الوزير) بإبرام العقد السردي مع التوحيدي، وينزله منزلة المجلس الوفي يتعرف منه على أشياء كثيرة حيث يقول ابن سعدان:«فقد تاقت نفسي إلى حضورك للمحادثة والتأنيس،ولأتعرف منك أشياء كثيرة ومختلفة تتردد في نفسي على مرِّ الزمان،ولا أحصرها لك في هذا الوقت لكي أنظرها في المجلس بعد المجلس».

اتضح سبب تأليف التوحيدي لكتابه ،الذي هو عبارة عن محاورات فلسفية أخذت طابعًا قصصيًا .

ب -الطابع القصصي:

حفل كتاب الإمتاع والمؤانسة بسمة القصة الإطار، حيث يتوجب الراوي الأول إلى المروي له (أبو الوقار) ليحكي ما دار بينه ، وبين الوزير ابن سعدان في لياليه، ويتمثل هذا الترتيب في ليالي الامتاع والمؤانسة ،حيث يقدم الراوي لكل ليلة ،ويشير كذلك إلى نهايتها ثم يعاود تقديم ليلة ثانية».

اتبع التوحيدي نظامًا سرديًا خاصًا في سرد أحداث لياليه، ونلاحظ بأن الزمان السردي في الليالي سار وفق نظام متسلسل ومرتب «ولقد صاغ التوحيدي محاورات في قالب قصصي، بينما شكلت القصة الإطار، الذي يحتوي المحاورات ، ويعيد إنتاجها مما يُسهم في توليد محاورات أخرى وقدّم التوحيدي في كتاب الإمتاع والمؤانسة «تصوّرًا شاملًا لمختلف قضايا الثقافة العربية الإسلامية».

انتهج التوحيدي النسق الفلسفي في سرده، فطرح قضايا عصره في سرد فلسفي،واهتم بمعالجة الإشكالات الأدبية والفلسفية .

3-البنية السردية في نص الإمتاع والمؤانسة :

اختلفت جهود التوحيدي عن عمل كتاب الأخبار والأقاصيص ، فهو لايسلك مسلك الرواد الذين يتقيدون بالغريب من الأخبار والأشعار؛وإنما يهتم بالنواحي الأدبية والتاريخية من حياة الرجل ، وأعطى الأخبار عمقًا متصلًا دلاليًا بالمرجع الواقعي يحتل الخبر مكانة متميزة،ونجد فيه تنوعًا في الأخبار البسيطة،ومثّل السرد في نص الإمتاع والمؤانسة النموذج الأمثل في عرض الأحداث والوقائع وترتيب الأفكار،فعمد إلى تأديب النصوص العلمية والفلسفية ونجد التوحيدي في نصه ضليع بفنيات القص وآليات الحكي ،ونسج مقولاته

عنوان المحاضرة السابعة : السرد الفلسفي

القصص من خياله المبدع ،وأتقن أسرار اللعبة الفنية، فتعددت صورة درجات حضوره، وأسلوب الراوي فيه ترابط وثيق مع كل مكونات البنية السردية».

خضع السرد عند التوحيدي لأسس التفكير العلمي، وللتصنيف والفرز على أساس من الوضوح مع كثرة الإطناب ، والسجع الذي يخدم الفكرة».

واستطاع التوحيدي تأسيس سرد يمتلك خصوصية عربية تحمل في اتساقها روح العصر، ومامیّز نص التوحيدي هو مشروعه اللغوي،الذي يرتكز على التجربة الاجتماعية وينطلق منها ،لكنه يُفسح المجال لاكتشافات معاني جديدة وراء لغته، فاللغة تلعب دورًا مهمًا عنده في تحويل المعلومة إلى حكاية ».

عمد التوحيدي إلى تأسيس سرد فلسفي خاص ، ومايؤثر على التوحيدي أنه لُقب "بالجاحظ الثاني«و يذكرنا بأسلوب أستاذه الجاحظ ،الذي يمثل مدرسة لها مميزاتها الفنية والأسلوبية».

ومنه فقد ظهرت معالم القصة الفلسفية عند ابن طفيل، ونضجت عند التوحيدي ،وعندما نقارن بين التوحيدي والجاحظ، نجد أن الجاحظ له أسلوبه بليغ وتوجه اجتماعي ،وبينما التوحيدي يميل للنقد الأفكار في إطار فلسفي.